

## الفصل الثامن والعشرون

### [ من يستحق الحياة؟ ]

ساد صمت تام الموقع الذي جلست فيه، حيث المساحات العشبية الواسعة تحيط بي وغروب الشمس ماثل بكل روعته أمامي.. ظللت في موقعي ساهمة الفكر، أحاول شغل نفسي عن الساعات القليلة التي مرت بي والتي قد لا أتمكن من محوها من ذاكرتي.. لو أنهم عرضوا عليّ إفقادي ذاكرتي، لقبلت ذلك بسرور الآن.. فما الذي يستحق أن أستبقيه في عقلي وأسترجعه مراراً؟.. أي سعادة قد أرجوها من ذكريات تملأ حلقي بالمرارة وتزخم صدري باليأس؟..

يبدو أن الكل استكان في المساكن القريبة، وإن بدأ الحراس في ترحيل من بقي من السجناء إلى موقع السفينة الفضائية.. لكنني لم أعبأ بكل هذا في موقعي وأنا أعجز حتى عن التנהد لأزيح شيئاً مما تعاضم في صدري..

سمعت خطوات خافتة خلفي، ثم رأيت بسمّة تجلس قريبة مني تكاد تلتصق بي.. كانت عيناها متورمتان لشدة بكاءها الذي سمعته سابقاً، وأنا في الواقع أحسدها على قدرتها على البكاء دون رادع.. ثم رأيت أدهم يقترب بدوره فيجلس على صخرة قريبة متنهداً وقال "كانت تلك كارثة.. من يتحمل ذنب أولئك الذين لم يحالفهم الحظ بالحصول على الجرعة في الوقت المناسب؟" همست بسمّة بصوت مرتجف "ليتنى لم أرَ ذلك أبداً.. لن أنسى تلك المناظر ما حييت" لم أعلق على أيهما وأدهم يضيف "ما جلبناه معنا من أدوية لم يكفِ إلا أربعين شخصاً ممن حالفهم الحظ.. بينما عدد السجناء في هذه المساكن يتجاوز السبعين.. فما ذنب البقية؟" غمغمت بشيء من الجمود "ذلك كان ذنبنا نحن.."

نظرا لي بصدمة شديدة، وقالت بسمّة "لكن نحن بذلنا جهدنا لمساعدتهم.. فكيف...." قلت لها بنظرة باردة "أنسييت أن فكرة تدمير مخزون الأدوية لخالد؟ ونحن قد ساندناه في خططه تلك.. لو لم نفعل، لوجد كل أولئك السجناء ما يكفيهم ليعيشوا زمناً طويلاً.. لكننا بحمق شديد دمرنا وسيلتهم للنجاة.. واثقين أن المؤسسة ستطيعنا دون قيد أو شرط"

قال أدهم بحدة "وهل كنا نعرف أن المؤسسة ستخون الجميع بهذه الطريقة؟" قلت بشدة "كان يجب أن نعرف.. كان يجب أن نتوقع كل شيء.. لا أن نتحمل ذنب كل أولئك الذين قضوا نحبتهم لا يدرون لمَ وكيف.. نحن المسؤولون عن كل ذلك.."

ورميت وجهي على ذراعي وأنا أشعر بدمعة ساخنة تسيل على وجنتي رغم أنني قاومتها طويلاً..

شعرت ببسمة تربت على كتفي، بينما قال أدهم بضيق "لا داعي لتأنيبنا بهذه الطريقة.. أظنن أننا سعداء بكل ما جرى هنا؟"

وسمعت خطواته تبتعد.. قد أكون أذيته بقولي هذا، لكن لم ندفن الحقائق في التراب وننفذ المسؤولية عن كواهلنا؟.. لماذا نفخر بالعمل الذي أنجزناه ونرمي الذنب على المؤسسة ونتناسى نصيبنا من ذلك الذنب؟.. وآه يا له من ذنب..

\*\*\*\*\*

انهك خالد بتفحص باب السفينة بحثاً عن أي طريقة قد يستطيعون بها فتحه مع عدم معرفتهم بالرقم السري.. كانت الحظيرة قد أضيئت بكشافات عملاقة موزعة على سقفها، بينما غرقت الساحة خارجها في الظلام.. لم ينتبه خالد مما في يده حتى اقترب منه أحد الحراس قائلاً "لقد وجدنا هذا الشاب في المنجم (ب).. أياصلح لما تطلبه؟"

التفت خالد باهتمام لشاب لا يتجاوز العشرين بحال، على شيء من الطول ببشرة بيضاء وشعر بني قصير جداً.. والقلق يبدو في عينيه الزرقاوين وهو يدور بهما في الموقع.. فتساءل خالد بتعجب "أنت مهندس؟"

قال الحارس بتعجب أكبر "بل يملك خبرة بالبرمجة.. أنسيت أنك طلبت واحداً؟" ارتفع حاجبا خالد وهو يقول "لم أتوقع أن تحضروا لي شاباً صغير العمر مثله.. حسناً، سيفي بالغرض"

ازداد توتر الشاب وهو يتساءل "ما الذي تريدونه مني؟ أنا لم أفعل شيئاً" قال خالد وهو يقترب منه "لا تقلق.. نريد مساعدة منك.. أترى هذه السفينة؟ إنها معطلة لا يمكننا الرحيل بها.. لكن أجهزة التحكم في غرفة القيادة تعمل ولا شك، ونريد منك أن تقتحم نظامها لنتمكن من التحكم بها.. أظن نفسك قادراً على هذا؟"

قال الشاب بعد تردد "أظن ذلك.."

فربت خالد على كتفه قائلاً "ما اسمك أيها الشاب؟"

قال الشاب "روي.. اسمي روي"

عاد خالد يربت على كتفه معلقاً "وأنا خالد.. سنعتمد عليك فلا تخذلنا.. في البدء نريد منك أن تجد لنا طريقة لمعرفة الرقم السري الخاص بباب السفينة.. هل يمكنك ذلك؟"

نظر روي للوحة ذات الأرقام قائلاً بتردد "لكني أحتاج لجهاز كمبيوتر محمول.. يجب أن أصله بهذه

اللوحه دون فصلها عن الباب”

هز خالد رأسه موافقاً وقال “حالياً لا نملك أي جهاز كمبيوتر في المباني الإدارية.. لكن قد تعثر على واحد لو بحثت في مبنى المراقبة الموجود هنا..”

أسرع روي يخرج من الحظيرة متجهاً لمبنى المراقبة ليبدأ بحثه بعد أن زوده أحد الحراس بمصباح يدوي صغير، بينما جلس خالد جانباً يتلقى اتصالات من بعض الحراس الذين أنهوا عملهم في مختلف المساكن الموزعة في الكويكب.. مضى وقت غير قصير قبل أن يعود روي راكضاً وهو يحمل جهاز كمبيوتر محمول صغير الحجم وقد غطاه الغبار.. فعلق خالد على مرآه “أتظنه يعمل؟”

هز روي رأسه إيجاباً وقال “إنه يعمل بالفعل.. لقد جربته هناك”

وفتحه لتضيء شاشته على الفور، عندها طلب روي من أحد الحراس أن يحمله له بينما قام هو بنزع الجزء المعدني من موقعه في جدار السفينة بحرص، ثم نزع إحدى التوصيلات التي تخرج من اللوحه ذات الأرقام ليوصلها بجهاز الكمبيوتر.. فقال خالد الذي كان يراقبه “هل يملك هذا الكمبيوتر برنامجاً لفك الشفرة؟”

قال روي بسرعة “طبعاً لا.. لكن يمكنني تصميم برنامج صغير لفك شفرة السفينة في وقت قصير..” نظر له خالد بإعجاب لثقتة المطلقة، ثم قال فجأة بغير لياقة “قل لي، ما هي التهمة التي جاءت بك إلى هنا؟”

نظر له روي بتوتر وتعجب من تقلبات خالد في الحديث.. في تلك الأثناء بدأ الحراس ترحيل السجناء من كافة أرجاء الكويكب لموقع قريب من الحظيرة.. كان الكويكب، كما أوضح لنا خالد، يحتوي على خمس مناجم رئيسية.. وبعد الحصر كان عدد السجناء مع الحراس الباقين على الكويكب يناهز الأربعمئة رجل وامرأة..

وبعد مرور ساعة منذ بدأ الترحيل، ومنذ قدوم روي الذي انهمك بمحاولة اختراق نظام قفل باب السفينة دون نجاح كبير، تلقى خالد اتصالاً من أحد الحراس وهو يقول بشيء من الحماس “سيدي.. لقد عثرنا على مهندس يملك خبرة مناسبة.. هل نحضره؟”

قال خالد “أهذا سؤال؟ طبعاً أحضره”

سمع صوتاً قرب الحارس يقول عبر جهاز الاتصال “لكني لا أملك خبرة في السفن الفضائية البتة.. كنت أعمل في إصلاح بعض الطائرات المدنية على الأرض”

سارع خالد ليقول قبل أن يصله تعليق من الحارس “أخبره ألا فارق هناك بين الاثنين.. عليه أن يبذل جهده في إصلاح السفينة إن كان يرغب بالنجاة من هذا الكويكب”

وأسرع ينهي الاتصال وهو يغمغم بلهفة “رائع.. رائع جداً”

فتساءل روي بتردد "تبدو شديد التحمس للأمر يا سيدي.. رغم أن الأمور كلها لا تبشر بخير"  
 هتف خالد "من قال ذلك؟ كل الأمور تسير في صالحنا، فلم التشاؤم؟ وجدنا السفينة الفضائية، وعثرنا  
 على المبرمج والمهندس المطلوب لتسييرها بناء على رغبتنا.. وسيطرنا على كل المساكن دون مشاكل..  
 فأني خير لا تراه في كل هذا؟"  
 غمغم روي "السفينة معطلة.. والمهندس لا يملك أي خبرة في إصلاحها.. والمبرمج عاجز عن اختراق  
 نظامها وفتح بابها.. ألا يكفي هذا؟"  
 قال خالد ملوحاً بيده "ستنجحون.. أنا واثق من هذا"  
 ثم أضاف بسرعة "واسمي خالد.. وليس سيدي.. أفهمت؟"  
 هز روي رأسه موافقاً دون تعليق، فنهض خالد ليغادر الغرفة قائلاً بحماس "سأذهب لأرى ما جرى  
 بكل الأمور خارجاً.."  
 عاد روي يتطلع لشاشة الكمبيوتر أمامه زافراً بضيق.. كل جهوده حتى الآن تبوء بالفشل.. ورغم أن  
 الاستسلام ليس من عادته، لكنه يشعر أن هذه المهمة قد تكون أكبر منه هذه المرة..

\*\*\*\*\*

مرت عدة ساعات عليّ وأنا جالسة في موقعي لا أغيره بعيداً عن المساكن التي بدأت تهدأ تماماً،  
 وقربي جلست بسمة منكمشة على نفسها وهي تنظر لي بين فينة وأخرى بتردد.. بدا أن كل من في  
 المساكن قد رحل لموقع السفينة الفضائية، لكنني لم أهتم برؤية إن نسوْنَا هنا أم لا.. تنهدت وأنا أتطلع  
 حولي محاولة تجاوز الضيق الذي اعتصر صدري بقوة..  
 سمعت خطوات أدهم من خلفي تقترب قبل أن يقول "هيا بنا.. الجميع قد غادر ويجب أن نذهب نحن  
 أيضاً.."  
 نهضت بعد صمت قصير ونفضت ملابسني، فنهضت بسمة بدورها بينما أضاف أدهم "يجب أن ننتقل  
 للمنجم التالي.. أترغبان بالقدوم أم أنكما اكتفيتما؟"  
 نظرت لوجه أدهم الهادي، وشعرت بشيء من تأنيب الضمير لما قلته له في السابق.. تنهدت قائلة "لا  
 أرغب بفعل أي شيء.. سأذهب لموقع السفينة الفضائية فهذا أفضل لي.."  
 وبالطبع فبسمة ستلحقني لأي مكان، عندها استدار أدهم قائلاً "إركبا في المركبة الثانية مع من بقي  
 من السجناء.. أنا سأرحل في الأولى فلا يمكن أن أعود قبل أن أنجز ما طلب مني"  
 أسرعرت أقول قبل أن يبتعد "أدهم.. أنا أسفة لما تفوهت به منذ ساعات.. كنت غاضبة ومصدومة.. لكن

ما كان عليّ إفراغ غضبي بك ولا ذنب لك في هذا”  
 نظر لي أدهم قائلاً بابتسامة “لا يمكنني لومك على هذا.. يكفي ما قاسيناه جميعاً منذ قدومنا  
 للكويكب.. من الطبيعي أن تنفجر مشاعرك بعد كل هذا..”  
 غمغمت قبل أن أبتعد “شكراً لك..”  
 وأسرعت أركب، وبسمة خلفي، في المركبة الثانية التي كانت تحمل بضع سجناء مع ثلاث حراس،  
 والتي سارعت للتحرك بإشارة من أدهم.. بينما ركب أدهم في المركبة الثانية مع بقية الحراس ليتجهوا  
 لوجهتهم الثانية.. ويعلم الله أي مصائب سيرونها قبل أن تنتهي مهمتهم تلك..

\*\*\*\*\*

عندما وصل الحارس المكلف بإحضار المهندس للسفينة، فوجيء خالد بوجود رجلين معه، أحدهما على  
 شيء من السمنة قصير القامة، والثاني عريض المنكبين وطويلاً بغير مبالغة.. نظر خالد للرجلين بغير  
 فهم وقال للحارس “أيهما هو المهندس الذي وعدتني به؟”  
 رفع الاثنان يديهما استجابة لسؤاله، بينما قال الحارس بلهفة “لقد وجدنا الثاني في أحد المساكن  
 الأخرى.. فأحضرتة معي أيضاً.. وجود اثنين خير من واحد.. أليس كذلك؟”  
 رفع خالد حاجبيه وقال “طبعاً..”  
 ثم توجه للرجلين قائلاً “أعلم أنكما لا تملكان أي خبرة بالسفن الفضائية.. سيكون من الغريب حقاً أن  
 نعثر على مهندس مختص بالسفن في هذا الكويكب.. لكن لا تجعلا هذه السفينة بضامتها ترعبكما..  
 تعاملما معها كما تتعاملان مع أي محرك عادي.. لكن أرجو أن تلتزما الحذر الشديد.. هذه السفينة هي  
 وسيلتنا الوحيدة للنجاة.. لو دُمّر محركها أو تعطل بشكل تام فسنبقى مسجونين هنا بشكل دائم”  
 هز الرجلين رأسيهما بتفهم وأحدهما يقول “لا تقلق.. سنبدل جهدنا لنتمكن من الخروج من هذا المكان  
 المشؤوم”

غمغم خالد “ليس المكان هو المشؤوم بل أصحابه من المؤسسة..”  
 قال الرجل الثاني بتحمس “إذن.. متى نبدأ؟”  
 قال خالد وهو يلقي نظرة على روي خلفه “ليس قبل أن نتمكن من فتح بابها”  
 غمغم الحارس بإحباط “لم تفتحوه حتى الآن؟”

لم يعلق خالد وهو يتقدم من روي الذي كان يحكّ رأسه بحيرة وهو يتأمل جهاز الكمبيوتر أمامه والذي  
 وضع على صندوق مرتفع شيئاً ما ليتمكن من توصيله بالوصلات خلف الجزء المعدني.. ولما اقترب منه

خالد بادره قائلاً "هل وصلت لطريق مسدود؟"

قال روي "أرجو ألا يكون ذلك.. هذا القفل يستعصي عليّ حتى الآن.. ولست أدري ما الخطأ الذي ارتكبته في عملي.."

نظر خالد للشاشة ملاحظاً البرنامج الصغير الذي قام روي بإعداده لهذا الغرض.. بدا الفتى ماهراً جداً رغم صغر سنه، ثم سمعه يقول وهو يعود للعمل "ربما عليّ أن أبدأ من جديد"

علق خالد قائلاً "ماذا عن شاشة فحص اليد؟ ألا يمكن جعلها تقبل بصمات أي يد دون تحديد؟" نظر له روي بدهشة، ثم قال بشيء من الحماس "بالفعل.. يمكننا العمل في هذا الاتجاه.. لو جعلت النظام يتجاوز هوية صاحب البصمة ويقبل بأي بصمة توضع على الشاشة، فلربما تمكنا من تجاوز هذا النظام الأمني السخيف.."

عاد يعمل بكل حماسة وخالد يتأمله بإعجاب لمثابرتة.. ثم رأى أحد الحراس يتقدم منه قائلاً "سيدي.. ماذا نفعل بـ...."

قاطعته خالد قائلاً "اسمي خالد.. لا تتنادني بسيدي.."

أسرع الحارس يقول "حسناً.. ماذا نفعل بالسجناء الذين قدوموا من المساكن يا خالد؟"

قال خالد ملوحاً بيده "لديهم الساحات الشاسعة هذه كلها ليختاروا البقعة التي تروق لهم ويجلسوا فيها.. حاولوا تدبير الأمور الثانوية هذه بأنفسكم دون الحاجة للرجوع إليّ.."

هز الحارس رأسه إيجاباً وابتعد ليتصرف مع السجناء الذين بدؤوا يتوافدون على الموقع بالمركبات الخاصة بالمؤسسة.. فالتفت خالد لروي ليجده يتأمل شاشة فحص البصمات باهتمام شديد، ثم نظر له قائلاً "يبدو أنني قد تمكنت من تجاوز هذه النقطة.. هل تريد أن تحاول؟" أشار له خالد قائلاً "سأترك لك هذا الشرف.."

فالتفت روي للشاشة للحظات، بعدها نزع الوصلات التي تصلها بجهاز الكمبيوتر وأعاد الجزء المعدني للجدار بحرص.. وبعد تردد قليل، وضع راحة يده على الشاشة وانتظر بلهفة لثوانٍ.. ولما أضاءت الشاشة، وظهر أعلاها ضوء أخضر، صاح روي بحماس "لقد فعلتها.."

رأياً تلك اللحظة الباب الكبير القريب منهما يفتح بهدوء لينزل جانباً، وخلفه ظهر ممر السفينة العريض وضوء هاديء ينيّره.. فربت خالد على كتف روي قائلاً "مرحى لك أيها الشاب.. أحسنت صنعاً.."

وتقدم نحو الباب ليرتقي سلماً صغيراً قبل أن يضع قدمه في الممر ذو الأرض المعدنية.. وقبل أن يغيب في قلب السفينة التفت لروي قائلاً "أنت مدرك أن هذا أقل متاعبك القادمة، أليس كذلك؟" تنهد روي هازاً رأسه إيجاباً، ثم سارع ليلحق به حاملاً جهاز الكمبيوتر في يده..

\*\*\*\*\*

عندما عدت، مع آخر دفعة من السجناء من المنجم الثاني، وجدت أن مساحة واسعة حول الحظيرة قد امتلأت بالسجناء الذين جلسوا متفرقين أو جماعات دون اعتراض أو أي شغب.. فهم الجميع الآن هو في مغادرة هذا الكويكب قبل نفاذ العقار من أجسادهم واختناقهم بهواء الكويكب الذي لا يناسب أجسادنا.. لذلك فقد أبدى الجميع طاعة غريبة ولم يتذمر أحدهم بكلمة.. كل ما كان يدور من تساؤلات هو وضعهم بعد مغادرة الكويكب.. هل سيتركون ليذهبوا أينما شاؤوا؟ أم أنهم سيعودون للسجن من جديد.. وهذا التساؤل كان يدور في ذهني أيضاً، فتوجهت به لخالد الذي دلني الحارس عليه في السفينة الفضائية..

كان تلك هي المرة الأولى التي أجول فيها في سفينة كهذه، ولم تكن بسمّة أفضل حالاً مني.. كدنا نضيع عدة مرات لولا أن وجدنا أحد الحراس قادماً من غرفة القيادة فدلنا على موقعها.. وهناك، رأيت قاعة على شيء من الاتساع تحوي أجهزة عديدة تشغل ثلثي جوانبها، وفي جانب منها جلس خالد مع شاب يصغرنى شيئاً ما ويبدو منهمكاً بالعمل في أحد أجهزة السفينة.. اقتربت منهما وقلت لخالد "هل علمت بما جرى في المساكن التي كنا فيها؟"

نظر لي خالد مجيباً ببساطة "أجل.."

قطبت متسائلة "ألا يهمك ما جرى لكل أولئك الذين قضوا نحبهم دون ذنب؟"

فقال خالد بهدوء "لم أقل إنني لا أهتم.. هل يجب أن أبكي وألطم كي يبدو تأثري واضحاً؟"

ساءني رده لكنني لم أملك تعليقاً عليه، فقلت له زافرة "السجناء في الخارج يتساءلون عن حالهم بعد الخروج من الكويكب.. ما الذي سنفعله عندها؟ هل سيتركون ليذهبوا حيث أرادوا أم أنهم سيعودون للسجن من جديد؟"

قال خالد "لا أقدر على إجابة هذا السؤال، فقد تسوؤهم الإجابة"

نظرت له بسمّة بقلق شديد، فقطبت قائلة "ماذا تعني؟"

قال بهدوء "أنت تعلمين معنى قلبي تماماً"

قلت بحدة "لست بمزاج للألعاب اللفظية هذه.. فسر ما تقول كي أفهمك.."

قاطعنا صوت روي الذي هتف بارتياح "لقد اخترقتها أخيراً"

جذبنا هتافه فصرفنا عن الموضوع الذي كنا نخوض فيه.. اقتربنا منه وهو يشير للشاشة الكبيرة أمامه قائلاً "نجحت في التغلب على تحصينات الحماية الخاصة بالنظام، ففككت الشفرة وغيرتها ليتمكنني التحكم بها دون مخاطر طوال الرحلة.."

تساءل خالد باهتمام "والآن؟"

قال روي "الآن سأفقد النظام والقيادة الآلية المسجلة فيه.. نحن لا نملك خبرة بقيادة هذا الشيء لذلك أملنا هو في وجود نظام قيادة آلية يتكفل بكل شيء كالإقلاع والضغط والجاذبية والتنفس وغيره.." قال خالد "ابحث عن نظام التنفس الخاص بالسفينة.. هل يناسبنا ونحن بحالتنا هذه أم أنه لا يوجد إلا النظام المشابه لجو الأرض؟"

أجاب روي "سأفعل.."

فالتفت خالد لي مضيفاً "استدعي وليد أو أي حارس آخر بالإحصاءات الخاصة بالسجناء.. لا نعلم كم سيطول بقاؤنا هنا ولا نريد المخاطرة بمزيد من الأشخاص.." كدت أبتعد لأنفذ طلبه، لكنني التفت إليه من جديد وقلت مقطبة "وكأنك تتهرب من إجابة سؤالي.." ابتسم خالد وقال "لا تقلقي يا حمراء.. سيكون كل شيء على ما يرام" دمدت وأنا أبتعد "هذه إجابة مبهمة.."

وغادرت وأنا في حيرة أشد مما كنت عليه.. ما الذي ستحملة لنا الأيام؟ يخيفني هذا أكثر مما يريحني.. خرجت من السفينة بحثاً عن وليد، فوجدته مع بعض الحراس يتحدثون كما يبدو بشأن السجناء، فاقتربت منه وقلت "وليد.. خالد يرغب بالحصول على إحصائيات السجناء التي تملكونها" سألني "هل جد جديد؟"

هزرت رأسي إيجاباً وقلت "تخطى خالد نظام الحماية في السفينة بمساعدة أحد السجناء" فقال وليد باهتمام "جيد.. سأرى إن كان يمكنني استرجاع ما تحويه الذاكرة الاحتياطية عبر أجهزة السفينة"

وتناول عدداً من الأوراق من أحد الحراس قبل أن نعود لقلب السفينة، فسألت وليد وأنا أتبعه "أين أمجد.. ألم يعد معك؟"

قال وليد وهو يتقدمني "ينتظر إخلاء المساكن الأخيرة تماماً.. سيعود مع آخر دفعة منها" ثم نظر لي قائلاً بابتسامة جانبية "ألا زلت غضبي منه؟" عقدت حاجبي لسؤاله، فأنا أكره من يتدخل في شؤوني.. لكنه لم ينتظر إجابتي وهو يدير وجهه بعيداً قائلاً "أمجد شاب طيب حقاً.. أنا متأكد أنه يحبك بصدق.. فلا تقس عليه كثيراً" غمرني حرج من قوله ووجهي يحمر قليلاً، ثم قلت بعد صمت قصير "هناك أمور كثيرة تحول بيننا.. ومن يدري أتزول حقاً أما لا.."

لم يعلق وليد على قلبي أو يطرح مزيداً من الأسئلة.. وعندما وصلنا لغرفة القيادة، سلم وليد كل الأوراق التي يملكها لخالد وهو يقول "لقد تفحصنا السجناء في المناجم كلها.. وللأسف لم يبق الكثير



من الوقت قبل أن يبدأ العقار في النفاذ من مجموعة كبيرة منهم.."

تناول خالد الأوراق متسائلاً "كم من الوقت بقي لهم؟"

أجاب وليد زافراً "ثلاث أيام على الأكثر"

نظرت له بقلق شديد، لكن خالد قال دون أن يبدو الاهتمام على وجهه "إذن، سنرحل من الكويكب قبل انقضاء يومين.. أسمعت يا روي؟"

بدا التوتر على روي بعدما سمع الحديث الذي دار كله بلغة نايبو.. إذ أن هذا معناه مزيداً من الضغط عليه.. لكنني قلت معترضة "كيف تثق بذلك؟"

ابتسم خالد وهو ينظر لي مجيباً "لأنني أثق بكم.."

كان يمكن لجملته التشجيعية تلك أن تمدنا بحماس غير محدود، لكنها بدت لي جملة غارقة في فلسفة لا معنى لها.. نَقْلُ السجناء الذي لم يتم بعد، والسفينة المعطلة والتي لا يعرف أحدنا الطريقة الصحيحة للتحكم بها.. هل هو مقتنع فعلاً أننا سننجز كل ذلك دون مشاكل في فترة يومين؟..

سمعت وليد يسأل "هل من وسيلة لتشغيل هذا؟"

رأيت الجهاز الأسود في يده، فقال روي وهو يتناول الجهاز من يده "لابد من وصلة لتشغيله، أمهلني عدة دقائق"

وقام بكل نشاط يتفحص جوانب غرفة القيادة وأجهزتها المتعددة بحثاً عن وصلة تصلح لتوصيل الذاكرة الاحتياطية بجهاز الكمبيوتر وتشغيلها.. وأثناء مراقبتنا له سمعنا خطوات أدهم تهز المكان قبل أن يدلف الغرفة قائلاً "لقد انتهينا.."

قال له خالد "أوضح.. ما الذي أنجزتموه؟"

أجاب أدهم وهو يجلس جانباً "بخلاف المنجم الذي كنا نعمل فيه، انتهينا من إحضار السجناء العاملين في منجمين آخرين بالكامل.. بقي آخر منجمين وقد تولى أمرهما أمجد"

فعلق خالد "لماذا استغرقتم كل ذلك الوقت؟"

استشاط أدهم غضباً وهو يقول "أهذا ما تكلمت بقوله؟ بدل الإشادة بالمجهود الذي بذلناه لنقل ما يتجاوز المائة وخمسين شخصاً، تحاسبني على وقت لم أتعمد تضيقه؟"

قال خالد بهدوء "لأن رقاب الجميع معلقة بي، لذلك من الطبيعي أن أهتم بالوقت"

بدا أن أدهم سيستمر في صراخه، لكنه زفر وهو يفرك جبينه قائلاً "الموقعان يبعدان عدة ساعات عن الإدارة.. والمركبات التي نملكها لا تسع إلا لأقل من خمسين شخصاً.. لذلك قمنا بعدة رحلات من المناجم إلى هنا.. وهذا ما قام بتأخيرنا"

صمت خالد بدون تعليق على قوله وهو منشغل بالأوراق بين يديه، ثم رفع رأسه فجأة وقال لأدهم

"أحسننت صنعاً"

نظر أدهم له بتعجب بينما أطلقت أنا ضحكة صغيرة.. بدا أن تعليق أدهم قد دفع خالد لإطلاق تلك الجملة التشجيعية التي لا يتكرم بها عادة على أحد..

في تلك اللحظة قال روي "هاقد وجدته.."

اقتربنا منه باهتمام وهو يصل الذاكرة الاحتياطية بجهاز كمبيوتر موضوع جانباً بعد أن عثر على التوصيلة المناسبة، وبعد أن فتح الملفات الموجودة في الذاكرة، نظر لوليد باستفهام.. نظرنا للشاشة فرأينا عشرات عشرات الملفات.. وكلما فتح ولید ملفاً وجد به مئات من مقاطع الفيديو من جوانب مختلفة من الإدارة والمساكن المختلفة، فقال وليد بضيق "يتطلب البحث عن الموقع المطلوب شهوراً وسط هذه المقاطع"

دفعه روي برفق وهو يستقر أمام الجهاز قائلاً "اسمح لي.. يمكنني اختصار البحث بموقع محدد إن استطعت تزويدي برقم جهاز المراقبة التسلسلي بالضبط أو موقعها في المباني الإدارية.."

غمغم وليد "طبعاً لا أملك مثل هذه المعلومة.. أما بالنسبة لموقعها، فيمكنني تحديد الغرفة المطلوبة بدقة.."

بحث روي قليلاً، ثم استخرج من ذاكرة الكمبيوتر خارطة للمباني الإدارية بكل غرفها وملحقاتها.. فحدد وليد الغرفة المطلوبة، وهي كما قال لرئيس المؤسسة على الكويكب.. وخلال لحظات كان الملف المطلوب بكل المقاطع فيه أمامنا.. عندها تخلى روي عن مقعده لوليد الذي جلس وبدأ يطالع المقاطع كلها باهتمام..

أما أدهم، فقد توجه لخالد قائلاً "وماذا عن مسألة التنفس؟ لازلنا حتى الآن نتنفس هواء الكويكب.. فهل سيبقى الوضع هكذا بعد مغادرتنا إياه؟ أم أن السفينة لا تحمل إلا نظام تهوية مشابه للأرض؟ لا نريد أن نواجه مخاطر الاختناق بعد رحيلنا من هنا"

قال خالد بثقة "لن يحدث هذا.. أنا واثق منه"

قطب أدهم متساءلاً "وكيف تكون واثقاً من أمر لا تعرفه؟"

التفت خالد لروي قائلاً "ماذا وجدت عندما بحثت عن نظام التهوية في السفينة؟"

قال روي "السفينة لا تحمل إلا نظاماً واحداً هو بتركيبة مشابهة لهواء الأرض.. وفور أن تبدأ عملية الإقلاع سيقوم النظام بشكل آلي باستبدال الهواء في السفينة ليتطابق ذلك المخزن في النظام"

فقال أدهم بحدة "هل تريدون قتلنا؟"

قال خالد بهدوء "لم العصبية هذه؟ ألم تأت بنفسك باستخدام مثل هذه السفينة؟ لست أظنك واجهت فيها أي اختناقات أو أعراض مشابهة.. وعند وصولكم للكويكب نزلتم من السفينة دون أن يحقنكم

الإداريون بعقار أريا.. أليس كذلك؟”

نظر له أدهم بحيرة وأنا أقول “أتعني أننا رغم وجود العقار في أجسادنا نقدر على تنفس هواء الأرض دون مشاكل؟”

هز خالد رأسه إيجاباً وقال “العقار يهيء أجسادكم لاستهلاك هواء الكويكب الذي يخلو من الأكسجين تقريباً إلا من نسب ضئيلة ويعجّ بالهيدروجين وغازات أخرى.. لكن هذا لا يعني أنه قام بتغيير نظام الجسد التنفسي بالكامل.. بل يجعله يستبدل الأكسجين بغاز آخر لاستمرارية عمله.. ولكن عند توفر الأكسجين فإنه تلقائياً يقوم باستخدامه دون فرق يذكر”

قال أدهم بعناد “هذا كلام نظري.. كيف تثبت لنا ذلك؟”

نهض خالد على الفور قائلاً لروي “أترى غرفة المعدات القريبة من هذه الغرفة؟ سأدخل لها وحدي وفور إغلاق الباب قم بتغيير نظام التهوية فيها ولا تنس تشغيل جهاز المراقبة”

وغادر دون أي تعليق آخر، فسارع روي لتشغيل جهاز المراقبة على الغرفة المطلوبة ونحن نتابع معه ما يجري وأدهم يغمغم “إنه مجنون..”

لم يعلق أحداً بكلمة ونحن نرى خالداً يدلف الغرفة فيقف وسطها بصمت بعد أن أغلق بابها.. وعلى الفور عبث روي ببضع أزرار أمامه قائلاً بتوتر “ها قد بدأنا..”

ظللنا ننتظر وخالد يتلفت حوله منتظراً بدوره.. وخلال نصف دقيقة كان النظام قد أتم عمله فقال روي عبر جهاز اتصال داخلي في الغرفة “لقد تم تغيير نظام التهوية بالكامل يا سيد خالد.. بم تشعر؟”

جذب خالد نفساً عميقاً ونحن نراقبه بتوتر، ولم يلبث أن سعل بقوة حتى احمر وجهه وهو يمسك رقبتة بيده، فهبّ أدهم صائحاً “غادر الغرفة أيها الأحمق..”

لكن خالد قال بعد أن استرد هدوءه “لا بأس.. أنا على ما يرام”

فتساءلتُ بشك “حقاً؟ لكنك بدوت كمن يختنق..”

مطّ خالد شفثيه معلقاً “لا.. لكن الهواء غير منعش البتة.. إنه يحمل رائحة معدنية لم ترق لي أبداً” ضحك وليد الذي كان يستمع لما يدور وقال “عليك التعود عليه فلن تجد غير هذه الرائحة لأسبوع كامل..”

غادر خالد الغرفة بينما ارتمى أدهم على كرسيه قائلاً بحنق “إنه يجد الأمر ممتعاً؟ لقد ظننته سيقضي نحبه بالفعل..”

سمعنا خالد الذي دلف غرفة القيادة يقول لأدهم “والآن، أرجو أن تتفقدوا المساكن مرة أخرى.. لا أريد أن ننسى أي أحد قبل رحيلنا..”

خرج أدهم لينفذ أمره، فأسرعت خلفه لمساعدته.. لم أتعود البقاء دون عمل.. ولا أظنني سأعود على

ذلك البتة.. أما بسمة، فقد بقيت في غرفة القيادة جالسة في زاوية منها بصمت تام كعادتها مؤخراً..

\*\*\*\*\*

عندما علا الهدير القوي من الحظيرة الضخمة ببابها المفتوح، قفز السجناء وقوفاً وهم يتأملون السفينة بذهول ولهفة.. ثم علا صياحهم وهتافهم الصاخب والسعادة تتفجر من ملامحهم لرؤية وسيلة نجاتهم الوحيدة تعمل وبكفاءة.. وفي غرفة المحركات، نظر خالد للمحركات التي صممت آذانهم بصوتها جاعلة من العسير عليهم تبادل حديث عادي فيما اقترب أحد المهندسين منه صارخاً وهو يمسح عرقه المتصبب على وجهه "لقد نجحنا أخيراً.. كانت المحركات تعاني من عدة مشاكل لكننا تمكنا من إصلاحها بأقل معدات ممكنة"

فتنهد خالد وهو يغمغم "الحمد لله.. حقاً هذه معجزة"

قال المهندس وهو يشير للآخر "لا زالت هناك عدة جوانب علينا التأكد منها في المحركات قبل أن نضمن عملها تماماً.. لكن لن يطول الوقت قبل أن نقوم بتجهيزها تماماً"

هدأت المحركات بعد أن قام المهندس الآخر بإيقاف تشغيلها، فترك المهندس الأول خالداً ليعود لزميله ويبدأ عمله الذي لم ينتهِ بعد..

أما في غرفة القيادة، فقد غمغم روي وهو يتطلع لوليد الذي لم يفارق شاشة الكمبيوتر منذ نصف ساعة "ألم تملّ رؤية هذه المقاطع؟ لقد حفظتها كلمة كلمة"

تنهد وليد وهو يتراجع في كرسيه قائلاً "لأني في كل مرة أراها لا أصدق أني في ما تسمعه.. فأشاهدها مرة أخرى لعلّي أكون متوهماً.."

قال روي "وما الذي لا تصدقه بعد كل ما جرى؟ لو لم يغادروا لما كنا في ما نحن فيه الآن"

قال وليد مقطباً "لا يمكنني تصديق الوقاحة والبرود الذي يتحلّى به رؤساؤنا.. كيف تخلّو عما يناهز الأربعمئة شخص دون أي إحساس بالذنب؟ كيف قرروا أن هؤلاء جميعهم يجب أن يقضوا نحبهم بهذه البساطة؟"

قال روي معقّباً "لم كل هذه الانفعالات الدرامية؟ البشر لا يدهشونني أبداً"

التفت إليه وليد قائلاً "ألا تملك أي عمل تقوم به غير مراقبتي؟"

قال روي "لقد أنجزت ما عليّ.. أنا بانتظار ذلك العالم ليحدد لي ما يريده من نظام السفينة"

غمغم وليد "ذلك العالم له اسم لو لم تكن تعلم"

لم يعقب روي بكلمة وهو يتابع معه اللقطات مجدداً.. ثم سمعاً صوت خالد من خلفهم يقول "أولئك

السجناء يتمتعون بحس الفكاهة كما يبدو.. تخيلوا لقد سألوني متى سنغادر الكويكب.. ولما أخبرتهم أن الوقت قد يطول حتى نتمكن من التحكم بالسفينة سألوني ما الذي أفعله أنا إذا؟ وكأن مهمة العالم أن يقود سفينة فضاء عبر الكون كأني سائق حافلة محترم

قال روي وهو يقف "سيدي.. لقد أنجزت ما طلبته مني.. بقي أن تختار نظام من النظم المخزنة في السفينة"

وقال وليد "انظر لهذا"

التفت العالم لوليد متجاهلاً روي الذي سرعان ما تأفف بضيق، بينما منح خالد انتباهه لوليد الذي قام بتشغيل الشاشة معيداً اللقطة ذاتها.. كانت اللقطة لإحدى غرف المباني الإدارية الفخمة يجلس فيها رجل أشقر الشعر يرتدي ملابس عادية، ولم يلبث قائد الحرس أن دلف عليه قائلاً "احزم أغراضك يا ماك.. سنغادر"

رفع ماك رأسه عن أوراقه متسائلاً "إلى أين؟ لا أذكر أن لدي موعداً في أي وقت قريب" قال القائد وهو يرمي جسده على كرسي "ألم تسمع ما قلته؟ قلت احزم أغراضك.. هذا ليس موعداً.. إنما رحيل بدون عودة على الأغلب"

قطب ماك قائلاً "ماذا تعني؟ لأين؟ ولماذا؟ فسر الأمر"

قال القائد "ألم تجذبك كل تلك الانفجارات والإزعاج الدائر في المكان؟ أولئك الأوغاد بقيادة خالد قد فجروا مخزوننا من عقار آريا تماماً ولم نعد نملك قطرة منه" تساءل ماك بدهشة "كيف؟ ومتى حدث ذلك؟ بل كيف تسمح لهؤلاء الشرذمة بالوصول لهذا العقار المهم بهذه السهولة؟"

قال القائد بضيق "ليس هذا تساهلاً مني.. بل هم غافلون ونحن نجعل ما يملكونه من معلومات.. لا تنس أن بعض حراسنا قد غدروا بنا وانضموا لهم لسبب مجهول.. والآن هم يملكون مصدراً مهماً للمعلومات لا يمكننا تجاوزه.."

قال ماك بصرامة "هذا ليس عذراً.. كان عليك أن....."

اعتدل القائد مقاطعاً إياه "ألا تعتقد أنك تتجاوز النقطة الأهم هنا؟ لم نعد نملك العقار.. وأماننا ما يقل عن يومان قبل أن تبدأ الأعراض بالظهور.. أنسييت تلك المرة التي فقدنا فيها عمال منجم كامل بسبب نقص العقار؟ ألا تذكر ذلك المنظر؟"

غمغم ماك بضيق "وهل نسيته؟ وما العمل الآن؟"

قال القائد بسرعة "أن نغادر.."

نظر له ماك بدهشة وهو يسمعه يضيف "في السفينة يمكننا أن نتنفس حتى بعد نضوب العقار من

أجسادنا فلن تكون هناك مشكلة.."

قال ماك "مستحيل.. هل تريد من الإداريين والحراس كلهم المغادرة في السفينة حتى نحصل على العقار الذي لن يصل قبل أسبوع؟ أتعلم أي فوضى سنسبب بها في الكويكب بعد أن يجد السجناء أنهم بدون مراقبة؟ وما ردة فعل الإدارة الرئيسية للمؤسسة بعد أن يصلها خبر ما جرى هنا برأيك؟ نحن لازلنا متكتمين على نجاح هؤلاء الشرذمة بالهرب طوال تلك المدة.."

قال القائد ضارباً الطاولة بيده "ومن تحدث عن العودة؟ سنغادر، وسنترك هؤلاء هنا لمصيرهم.. سنعود للأرض ولن نرجع هنا إلا بعد أن يستتب الأمن في الكويكب"

قال ماك بسخرية "وهل تتوقع من السجناء أن ينتظموا في العمل بصمت واستسلام حتى نعود؟ عن أي أمن نتحدث؟"

قال القائد وهو يميل تجاهه بصرامة "بل بعد أن ينفذ العقار من أجسادهم، أو أجساد أغلبهم.. عندها سيدرك الباقون أن الاستسلام خير لهم من الموت اختناقاً.."

ارتد ماك للوراء بصدمة، فقال القائد بعصبية "لا تنظر لي هكذا وكأنني شيطان مريد.. فكر بالأمر.. هذه هي الطريقة الوحيدة لاستعادة السيطرة على الكويكب بدون استخدام القوة بشكل علني وما يتبعها من اتهامات من جميعات حقوق الإنسان.. لا نستطيع طلب قوات لإعادة الأمن على الكويكب، والحراس لن يكفوا لذلك"

قال ماك بحدة "وما سنفعله لن يلاحظه أحد؟ أأنت مجنون؟"

قال القائد وهو يقف ليدور في الغرفة "دعني أرسم لك الصورة كاملة.. بعض المساكن في حالة بلبلة كبيرة الآن، ونحن مضطرون للرحيل للحفاظ على حياتنا.. على الأقل الإداريين وقدماء الحراس.. من سيتبقى من الحراس ممن تلقوا الجرعة لن يستطيعوا السيطرة على السجناء وقد تحدث فوضى عارمة بعد أن يكتشف الجميع رحيلنا وغياب القوة المسيطرة على الوضع في الكويكب.. فلو فكرنا بالعودة بعد الحصول على العقار، فما الذي سنجده؟ لست أشك أن السجناء بعد رحيلنا سيثيرون وسيثورون قتال بينهم وبين الحراس.. ورغم امتلاكهم للأسلحة فإن الحراس لا يشكلون ثمن سكان الكويكب.. وقد ينتج عن هذه الثورة قتل بعض الحراس والاستيلاء على أسلحتهم.. فهل سيستقبلنا السجناء بأذرع مفتوحة؟ ولقد حطموا جهاز التحكم بالأساور.. فكيف تنوي استعادة السيطرة على الكويكب عند عودتك؟"

تردد ماك وهو عاجز عن الإجابة، فأسرع القائد بالجلوس قائلاً باهتمام "بعد أن نغادر ونعود للأرض، لابد سيقام تحقيق لنا في الإدارة الرئيسية للمؤسسة عن سبب رحيلنا.. فيجب أن تكون لدينا قصة واحدة عن سبب رحيلنا.. يمكننا..... يمكننا أن نقول إن مرضاً غريباً قد أصاب السجناء في هذا

الكويكب الغريب وتسبب في عدم تقبلهم لعقار آريا وموتهم السريع.. يمكننا أن نعرض عليهم صوراً من تلك الحادثة القديمة...”

قاطعها ماك بصرامة “التصوير الذي يتم عبر أجهزة المراقبة يحمل التاريخ بدقة.. فكيف...”  
قال القائد ملوحاً بيده “عن أي تاريخ نتحدث؟ التوقيت لا يتساوى في الأرض والكويكب.. يمكننا أن نقول إن قصر اليوم على الكويكب يجعل التواريخ غير دقيقة.. لن يستغرق السجناء إلا أسبوعاً أو اثنين حتى ينفذ العقار من أجسادهم، سنحاول تضييع هذه المدة ما استطعنا بأي حجة.. كون المرض معدٍ، أو أي عذر آخر.. يجب أن نقنع الإدارة بهذا العذر، ونمنعها من إرسال لجنات تحقيق للكويكب..”  
صمت ماك مفكراً بعمق والقائد ينظر له بترقب، ثم غمغم ماك بتردد “لن يوافق الحراس كلهم على الانضمام لنا في هذه الخديعة”

فقال القائد بسرعة “لذلك لن نأخذ معنا إلا من نثق به وبانضمامه لنا..”

قال ماك بحدة “وتريد التخلي عن الحراس أيضاً؟ أنا لا يمكن أن أوافق على هذا..”

وقف القائد قائلاً بصرامة “اسمع.. أنا سأغادر في السفينة بعد إجراء بعض الترتيبات.. إن كنت ترغب بالانضمام إليّ أنت وإداريك فمرحباً بكم، وإلا غادرت مع من ينضم لي من الحراس ولست مسؤولاً عن أي أحد”

وغادر بخطوات قوية تاركاً ماك وصراع قوي يبدو على ملامحه.. ولم تكن ملامح خالد بأقل صدمة وهو يقول لوليد “ذلك القائد الوغد.. لقد تخلى عن الجميع بكل برود..”

تنهد وليد معلقاً “وهذا ما صدمني.. يجب أن نحتفظ بهذا المقطع ونعرضه على من يهمه الأمر لينال أولئك الأوغاد عقابهم..”

فقال خالد “سنفعل.. ثق بهذا..”

وغادر مع روي الذي كاد يفقد صبره تاركاً وليد يزفر بضيق للمرة المليون..

\*\*\*\*\*

“لماذا؟”

نطق أحد السجناء بهذه الكلمة وهو ينظر بشك للحارسين الواقفين أمامه.. كان الحراس قد بدأوا تسيير السجناء في جماعات للسفينة استعداداً للمغادرة، لكن السجناء قد وقفوا أمام الغرف التي من المفترض أن يبقوا فيها وهم في شك من نوايا الحراس.. لكن الحارس سارع ليقول “لابد أن تبقى كل مجموعة منكم في غرفة من غرف السفينة أثناء الانطلاق.. الانطلاق عادة يشوبه بعض العنف، وهذا

خطر عليكم..”

قال السجين مقطباً “وماذا عنكم؟”

قال الحارس “الكل سيتوزع على غرف السفينة.. الحراس والسجناء على حد سواء.. لن يبقى في غرفة القيادة إلا المسؤولين عن تسييرها.. فلماذا القلق؟”

ظل السجناء ينظرون لهما بتشكك كبير، فقال الحارس مقطباً “اسمعوا.. هذا هو الترتيب الذي اتفقنا عليه وهو الأنسب للحفاظ عليكم من أي ضرر.. لو كنتم تنوون مخالفة هذا فالأفضل لكم النزول حالاً من السفينة.. الوقت يداهمنا ولا وقت لدينا لهذه المجادلات”

قال أحد السجناء بحدة “هذا غير مقنع.. هل تخططون لحبسنا من جديد؟ أريد المسؤول هنا.. من هو المسؤول؟”

سمعوا صوت خالد من خلفهم يقول بصرامة “أنا المسؤول.. أليك أي اعتراض على ما نطلبه منك؟” قال السجين بحنق “طبعاً.. نحن نشك في نواياكم ولا نظنها لمصلحتنا أبداً.. لماذا لا نتنقل في السفينة كما نشاء؟ أنتم سجناء مثلنا.. أليس كذلك؟”

قال خالد بهدوء “لقد أخبركم الحراس بخطر الانطلاق وأنتم تجولون بحرية في السفينة.. لقد بذلنا الكثير لتحريركم ولضمان حياتكم فما الذي فعلتموه أنتم؟ لو كان لديك غير الشكوك والشكوى فاطرحه أمامنا، وإلا تكرم بالنزول من السفينة وانتظر أن تأتي أخرى لتثقل شخصياً للأرض..” بدا الضيق على وجه السجين فيما غدت وجوه البقية تحمل تردداً كبيراً، قبل أن يبدؤوا بالدخول للغرفة بصمت وتبعهم السجين الحانق دون اعتراض.. عندها قال لهم خالد “رجاء لا تخرجوا من الغرفة قبل أن يتم الانطلاق بشكل آمن..”

أغلق الحارس الباب عليهم، فغمغم خالد “تأكد من إقفال الغرفة دون أن تثير انتباه البقية حتى نضمن دخول الجميع للغرف بدون اعتراض..”

أطاعه الحارس بصمت فيما غادر خالد وهو يتأمل الجماعات التي تعبر ممرات السفينة.. منهم من يجادل، ومنهم من التزم الصمت المترقب.. منهم المذنب حقاً، ومنهم البريء الذي ساقه حظه السيء في طريق المؤسسة التي لم تتورع عن الظلم أبداً..

\*\*\*\*\*

بعد يوم كامل، كنا قد انتهينا من نقل جميع السجناء من أرجاء الكويكب ومن ثم نقلهم لغرف السفينة الفضائية.. والآن بقي عدد قليل منهم قدموا مع أمجد من آخر موقع.. وكان هذا إعلاناً باقتراب رحيلنا



من هذا الكويكب ووداعه للمرة الأخيرة كما أرجو..

وقفت، وقربي بسمه كعادتها، خارج الحظيرة أتأمل ما حولي بصمت تام.. تأملت الغابة القريبة من المهبط.. تأملت كل ورقة تنثني بفعل الهواء، واستمعت لكل حفيف خافت يصدر عنها.. شممت الهواء المنعش الذي يحمل رائحة مميزة لم يسبق لي شمها على الأرض.. ومررت ببصري على أرجاء المكان كله وكأنني لا أريد نسيان أي بقعة فيه..

قد تظنون أنني بلهاء لأهتم بكل هذا، لكنني لا أريد أن أنسى هذا الكويكب الذي أتمنى ألا أعود إليه مرة أخرى.. لا أريد أن أنسى استماتتي لنيل حريتي.. ولا أنسى شخصيتي التي تبلورت في هذا المكان بحيث نسيت الفتاة التي كنتها سابقاً.. لا أريد نسيان كل أحلامي وآمالي ومتاعبي.. ولا كل المآسي التي رأيته والمصاعب التي قابلتها هنا..

شعرت بالأصوات خلفي تخفت وإن لم ألقِ بالاً للأمر، ثم شعرت بيد توضع على كتفي برفق.. نظرت خلفي لأجد أمجد ينظر لي بتساؤل وهو يقول "ما الأمر.. أهنك ما يشغل تفكيرك؟" هزرت رأسي نفيًا وقلت "فقط أحفظ تفاصيل هذا المكان.. فلا أريد أن أنسى أي شيء مر بي هنا" قال بتعجب "وهل يستحق كل ما مررت به من آلام أن تذكره؟" ابتسمت وغمغمت "ألا ترى أنك تستحق أن أتذكرك؟"

ازداد تعجبه، فأضفت "أنت بالنسبة لي جزء من هذا المكان، وكذلك بسمه وأدهم.. ما قاسيناه، وما شاركنا به، كل ذلك هو ما كوّن علاقتنا مع بعضنا البعض.. ولا أريد نسيان ذلك أبداً" ابتسم ابتسامة صغيرة مغمغماً "من يظن أن يصدر هذا القول من الفتاة التي تدّعي أنها لا تهتم؟" وقبل أن أعلق أضاف "هيا.. عمي يهددني أنه سيرحل بدونك إن لم يجدك أمامه خلال خمس دقائق.. انتبهت إلى أن الجميع قد صعد للسفينة الفضائية، الحراس والسجناء على حد سواء.. وكذلك بسمه وأدهم، ولم يبق سوانا على أرض الكويكب..

نظرت حولي للمرة الأخيرة، ثم أدت ظهري للكويكب كله وأنا أرتقي سلم السفينة الفضائية، وقد فارقت قدماي تراب الكويكب للمرة الأخيرة..

وخلال دقائق معدودة، كانت السفينة قد أتمت استعداداتها وبدأت الإقلاع.. أما أنا فقد وقفت قرب إحدى النوافذ أنظر للكويكب من جديد.. لست أدري إن كان وجود البشر على ظهره نعمة أم نقمة له، لكنه عاد كما كان، وحيداً لا يؤنسه أي كائن حي.. وسيكمل دورته الدائمة حول الشمس غير عابيء بمن غادره، وبمن ضمه في باطنه للأبد..

\*\*\*\*\*